

أثر المَرَجِيَّاتِ المَعْرِفِيَّةِ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ النُّورِ وَالضَّوْءِ — دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ —

The difference between Noor and light

ط . د : إبراهيم بوحركات¹ ، المشرف: أ . د : عبد الله خنشالي²

¹كلية الأدب العربي واللغة والفنون، جامعة الحاج لخضر — باتنة 1 — مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، الجزائر.

brahim.bouharkat @univ-batna.dz

²كلية الأدب العربي واللغة والفنون، جامعة الحاج لخضر — باتنة 1 — مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، الجزائر.

Abdallah.khenchali@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/05 تاريخ القبول: 2024/01/06 تاريخ النشر: 2024/10/31

ملخص: إِنَّ بَيْنَ لَفْظَتَيْ (النُّورِ) وَ(الضَّوْءِ) لَفَرْقًا كَبِيرًا وَبُؤًا شَاسِعًا، غَيْرَ أَنَّ اسْتِعْمَالَهُمَا فِي النُّصُوصِ الْأَدَبِيَّةِ لَمْ تُكُنْ مُوَفِّقَةً دَائِمًا مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِهَا عِبْرَ التَّارِيخِ، حَيْثُ أَتَاهُمْ لَمْ يُنْزِلُوهُمَا مَوَاضِعَهُمَا إِذْ جَعَلُوهُمَا مُتَرَادِفَتَيْنِ رَغْمَ اخْتِلَافِهِمَا الْبَيِّنِ مَبْنًى وَمَعْنًى وَدَلَالَةً.

تَهْدَفُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى سَرْدِ بَعْضِ مَوَاضِعِ وَرُودِ كَلِمَتَيْ (النُّورِ) وَ(الضَّوْءِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالشَّعْرِ وَالنَّثْرِ الْعَرَبِيِّينَ مِنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الْيَوْمِ، لِلْوُقُوفِ عَلَى مَدَى صِحَّةِ تَوْظِيْفِهِمَا مِنْ طَرَفِ الشُّعْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ وَمُسْتَعْمِلَيْهِمَا فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ، مُقَارَنَةً بِمَعْنِيَّتِهِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. لَقَدْ اتَّبَعْتُ الْمَنْهَجَ الْإِسْتِدْلَالِيَّ الَّذِي يَسْمَحُ لَنَا بِتَقْصِي نَمَازِجٍ وَظَفْتِ فِيهَا اللَّفْظَتَانِ عِبْرَ مُخْتَلَفِ عَصُورِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَتَوَصَّلْتُ إِلَى نَتَائِجٍ أَهْمُهَا: أَنَّ اسْمَيْ (النُّورِ) وَ(الضَّوْءِ) لَيْسَا مُتَرَادِفَيْنِ وَأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَدْلُولُهُ الْخَاصَّ، وَأَنَّ ثَمَّةَ خَلْطٍ بَيْنَهُمَا وَسُوءَ تَوْظِيْفٍ لِلْفِظَتَيْنِ كِلْتَاهُمَا مِنْذُ الْقَدِيمِ، رَغْمَ تَمَوْضُعِهِمَا الدَّقِيقِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَفِي نُّصُوصٍ أَدَبِيَّةٍ كَثِيرَةٍ. فَمَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَا ثَرَى؟

الكلمات المفتاحية: النور؛ الضوء؛ القرآن الكريم؛ الحديث النبوي الشريف؛ الشعر العربي.

Abstract: (Light) and (Noor) are two different words in meaning and indication. However their uses in literary texts are not always successful through history. They were used as synonymous though they are different in meaning and indication.

This study aims at citing some positions where they were used in holy Quran, Hadith and Arabic poetry since the pre-Islamic era until now, to stand on how much right they were used by poets, scientists, researchers and their users in various fields in comparison to their meanings in Quran.

The structuralism method help us to attain our objective, to extrapolate and criticise examples about the use of the two words throughout different historical ages of the arabic literature.

* إبراهيم بوحركات.

This study shows that <light> and <Noor> are not synonymous, have different indications and they have not been used in their right way despite their perfect positioning in both Quran, Hadiht and a lot of literary texts . However what is the differences between the two words ?

Keywords: Noor ; light ; holy Quran ; Hadith ; Arabic poetry

طالب الدكتوراه: إبراهيم بوحركات.

مقدمة: لَقَدْ دَأَبَ بَعْضُ الْعَرَبِ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، عَلَى عَدَمِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَفْهُومَي لَفْظَتَيْ (النُّورِ) وَ(الضُّوءِ) وَدَلَّاهُمَا، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ نُصُوصِهِمُ الْأَدَبِيَّةِ شِعْرًا كَانَتْ أَمْ نَثْرًا، وَفِي خِطَابَاتِهِمْ فُضْحَى كَانَتْ أَمْ عَامِيَّةً، وَفِي أَبْحَاثِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ، فَكَانَ ثَمَّةَ خَلْطٍ وَعَدَمِ تَسْمِيَةِ الْأَشْيَاءِ بِأَسْمَائِهَا بِجَعْلِهِمَا مُتَرَادِفَتَيْنِ عَلَى اخْتِلَافٍ مَعْنِيَّيْهِمَا وَدَلَّاهُمَا.

وَرَبَّمَا يُعَذِّرُ الْجَاهِلِيُّونَ فِي ذَلِكَ لِعَدَمِ إِطْلَاعِهِمْ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعَلَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ حَيْثُ الْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي عَدَمِ التَّرَادُفِ بَيْنَهُمَا، لَكِنْ لَا عُذْرَ لِمَنْ جَاءُوا بَعْدَهُمْ.

وَخَاصَّةً الْأَوَاخِرِ مِنْهُمْ، الَّذِينَ اعْتَمَدُوا عَلَى التَّرْجَمَةِ مِنَ اللُّغَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ الَّتِي وُلِدَتْ مِنْ رَحِمِ الْحُرُوبِ الصَّليبية، وَسَقُوطِ الْأَنْدَلُسِ، وَرَحَلَاتِ قَوَافِلِ الْمُسْتَشْرِقِينَ إِلَى بُلْدَانِ الشَّرْقِ عَامَّةً، هَذِهِ اللُّغَاتُ الَّتِي طَعَمَتْ وَأَثَرَتْ قَوَامِيْسَهَا بِالْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ ظَلَّتْ حَاسِرَةً قَاصِرَةً عَنِ الْوُصُولِ إِلَى كَمِّ كَافٍ مِنَ الْمُفْرَدَاتِ، كَالَّذِي لَدَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ أُمًّا لِكَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهَا أَوَّلَ لُغَةٍ ضَمَّتْ أَوَّلَ جُمْلَةٍ نَطَقَهَا أَبُونَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَاءَ نَفْخِ الرُّوحِ فِي جَسَدِهِ، حَيْثُ أَنَّهُ لَمَّا عَطَسَ أَمَرَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) هَذِهِ الْعِبَارَةُ الَّتِي لَيْسَ لِلْفُظْتَيْنِهَا لَفْظُ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) وَلَفْظَةُ (الْحَمْدُ) مَثِيلٌ أَوْ مُرَادِفٌ فِي أَيِّ لُغَةٍ فِي الْعَالَمِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرَحِمُكَ رَبُّكَ يَا آدَمُ اذْهَبْ إِلَى أَوْلَئِكَ الْمَلَائِكَةِ — إِلَى مَلَأَ مِنْهُمْ جُلُوسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُ »¹ (كثير،

الإمام أ إسماعيل بن، 1401 هـ — 1981 م)

إِنَّ تِلْكَ اللُّغَاتِ لَمْ تَسَعِ أَسْمَاءَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ فِي الْكَوْنِ ، فَسُمِّيَتْ فِيهَا مُسَمِّيَاتٌ عَدِيدَةٌ بِأَسْمٍ وَاحِدٍ، وَعَبَّرَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْعَالِ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ، نَاهِيكَ عَنْ أَعْجَمِيَّتِهَا وَنُقْصِ حُرُوفِهَا! كَمَا أَنَّهَا حَوَتْ كَلِمَاتٍ عَرَبِيَّةً خَالِصَةً لَفْظًا وَمَعْنَى، مَكْتُوبَةً فَقَطْ بِأَحْرَفٍ لَا تَبَيِّنُ مَا أَدَّى إِلَى أَعْجَمِيَّتِهَا مِثْلُ: cat(قطُّ) الْقَافُ صَارَتْ (c)، ambar (عَبْرٌ) حَرْفَا الْعَيْنِ وَالْثَوْنِ أَصْبَحَا (a) و(m) ...

meaning(مَعْنَى) فَقَدْ أَبْدَلُوا الْعَيْنَ (a) earth... (أَرْضٌ) وَهَذَا صَيَّرُوا الضَّادَ (th) لِخُلُوءِ لُغَاتِهِمْ مِنَ الْقَافِ وَالْعَيْنِ وَالضَّادِ وَاحْتَفَظُوا بِالكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا هِيَ ... إِضَافَةً إِلَى كَلِمَاتِ هَجِيَّةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ مِثْلُ technologie (تَكْنُولُوجِيَا) وَالْمُرَكَّبَةِ مِنْ جُزْأَيْنِ:

1 — عَرَبِيٌّ تَقْنِي (تَكُونُ) وَهُوَ التَّقْنِيَّةُ وَالْإِثْقَانُ أَيُّ: غَايَةُ الْإِجَادَةِ وَالْمَهَارَةِ الْفَنِيَّةِ وَهِيَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (أَتَقَنَ) الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)﴾. [سورة النمل؛ الآية : 88].

2 — ثُمَّ يَأْتِي الْجُزْءُ logie (logy) (لوجيا) الْمُشْتَقُّ مِنَ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ (logos) أَيُّ: الْعِلْمُ

لِتَعْنِيَ الْكَلِمَةُ الْمُرَكَّبَةُ (عِلْمَ التَّقْنِيَّةِ)، لَكِنَّهُمْ اسْتَأْتَرُوا بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ وَنَسَبُوهَا إِلَى الْيُونَانِيَّةِ وَسَلَّمْ لَهُمْ بِذَلِكَ الْعَرَبُ وَأَقْرَأُوا وَسَايَرُوهُمْ فِي نَسَبِهَا.

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ اللَّاتِيْنِيَّةِ الَّتِي غَزَا مَعْنَاهَا الْحَسِيرُ عَرَبِيَّتَنَا: لَفْظُهَا (lumière) فِي الْفَرَنْسِيَّةِ وَ (light) فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، اللَّتَانِ تَعْنِيَانِ عِنْدَهُمَا (الضُّوءَ) وَ(النُّورَ) فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَهُنَا وَقَعَ الْمُتَرَجِّمُونَ الْعَرَبُ فِي خَطِئٍ عَدَمِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَعْنِيَيْهِمَا! فَضَيَّقُوا الْعَرَبِيَّةَ بِمَا رَحُبَتْ، وَأَقْفَرُوهَا عَلَى غِنَاهَا، وَلَمْ يَتَذَبَّرُوا كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي حَفِظَهَا وَأَثَرَاهَا، وَحَدِيثَ الرَّسُولِ الَّذِي وَعَاهَا وَحَوَاهَا، وَلَمْ يَعُودُوا إِلَى نُصُوصِ الْأُكْلَى أَنْزَلُوهَا مِنْزِلَتَهَا وَمُسْتَوَاهَا.

إِنَّ الْمَوْضُوعَ عَلَى بَسَاطَتِهِ ذُو أَهَمِّيَّةٍ بَالِغَةٍ، نَظَرًا لِمَا اكْتَنَفَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظَتَيْنِ مِنْ غُمُوضٍ وَجَبَ تَوْضِيحُهُ وَلَبَسَ لَا بُدَّ مِنْ إِظْهَارِهِ وَإِزَاحَةِ السُّتَارِ عَنْهُ، وَجَدَلِ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ تَطَلُّبُ الْبَيِّنَاتِ فِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ اقْتَضَى دِرَاسَةً مُعَمَّقَةً يُسْتَدَلُّ فِيهَا بِبَرَاهِينٍ سَاطِعَةٍ وَحُجَجٍ بَيِّنَةٍ تُؤَيِّدُ وَتُثَرِّي بِحُثِّ هَؤُلَاءِ وَإِنْ لَمْ تُقْنِعْ حُجَجُهُمْ وَتُنَكِّرُ وَتَرُدُّ قَوْلَ أَوْلَئِكَ، يُضَافُ إِلَى كُلِّ ذَلِكَ وَرُودُ الْأَسْمَنِ بِالْمَعْنَى نَفْسِهِ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ لِكِتَابٍ وَشُعْرَاءٍ يَعُدُّونَ مِنْ فَطَاحِلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَفُسْرًا مُتَرَادِفِينَ فِي تَفَاسِيرٍ عَدِيدَةٍ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْخُطَبَاءُ وَالْعَامَّةُ، وَعُلَمَاءُ الْفِيزِيَاءِ وَالْمُتَرَجِّمُونَ وَأَسَاتِذَةُ الْكَهْرَبَاءِ بَلْ أَسَاتِذَةُ كُلِّ الْمَوَادِّ الَّتِي تُدْرَسُ عِنْدَنَا فِي جَمِيعِ مَرَاكِحِ الْعَلِيمِ وَأَطْوَارِهِ، وَاسْتَشْرَى الْخَلْلُ فِي شَتَّى مَيَادِينِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمُوازاةً لَهُؤُلَاءِ وَظَفَهُمَا كَثِيرُونَ تَوْظِيفًا لَائِقًا وَمُوفَقًا، وَأَنْزَلُوهُمَا مَوَاضِعَهُمَا .

إِنَّ الضُّوءَ غَيْرُ حَارِقٍ جُلُّهُ إِلَّا أَنْ مَصَادِرَهُ حَارِقَةٌ كُلُّهَا مِثْلَ النَّارِ وَالشَّمْسِ وَالشُّهُبِ، وَالْأَنْظِمَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ كُلُّهَا لِأَنَّ ضَوْعَهَا نَاجِمٌ عَنْ تَحْوِيلِ لِلطَّاقَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ إِلَى طَاقَةٍ حَرَارِيَّةٍ فِي مُقَاوِمَاتٍ أَسْلَاكِهَا الَّتِي تَسْخُنُ حَتَّى الْإِحْمِرَارَ بِمُرُورِ زَمَنِ مِنْ بَدْءِ تَشْغِيلِهَا وَسَرِيَانِ التَّيَّارِ الْكَهْرَبَائِيِّ فِيهَا، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَى شَكْلِ ضَوْءٍ بِفَضْلِ الْبَلُّورَاتِ الزُّجَاجِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَهَذَا مَا يَعْرِفُ بِقَانُونِ جُولٍ فِي الْكَهْرَبَاءِ، وَقَدْ وَرَدَ الضُّيَاءُ (غَيْرُ الْحَارِقِ وَذُو الْأَصْلِ غَيْرِ الْحَارِقِ) بِمَعْنَى النُّورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ (48)﴾. [سورة الأنبياء؛ الآية : 48]. فَالْوَحُ الثَّوْرَةُ (الْفُرْقَانُ) لَيْسَتْ حَارِقَةً وَمَا تَحْمِلُهُ لَيْسَ حَارِقًا أَيْضًا وَعَلَيْهِ ف ﴿وَضِيَاءً﴾ يَعْنِي: وَنُورًا. وَمِنْ ﴿وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ أَيُّ: يَذْكُرُونَ بِهِ أَخْرَاهُمْ، وَهُنَا يَكْمُنُ نُورُ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ وَذِكْرُهَا وَالْإِعْدَادُ لَهَا بِالتَّوَرَّامِ التَّقْوَى

يُسْتَدَلُّ فِيهَا بِبَرَاهِينٍ سَاطِعَةٍ وَحُجَجٍ بَيِّنَةٍ تُؤَيِّدُ وَتُثَرِّي بِحُثِّ هَؤُلَاءِ - وَإِنْ لَمْ تُقْنِعْ حُجَجُهُمْ - وَتُنْكِرُ وَتَرُدُّ قَوْلَ أَوْلَيْكَ

وَعَلَيْهِ وَرَغْبَةً فِي التَّنْبِيهِ إِلَى هَذَا الْخَطَأِ اعْتِمَادًا عَلَى مَرْجِعِيَّاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ مِنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ وَالشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ مِنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَالْغَايَةُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ تَنْقِيحُ قَامُوسِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِثْرَائِهِ وَتَقْدِيمُ الْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ الْمُنَاسِبَةِ وَالْكَافِيَةَ لِمُعَالَجَةِ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ.

وَلَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الَّتِي يُتَوَسَّمُ مِنْهَا إِيجَادُ إجاباتٍ عَنِ التَّسْأُلَاتِ وَالِإشْكَالَاتِ الْآتِيَةِ:
مَا مَاهِيَةُ كُلِّ مِنَ الثُّورِ وَالضُّوءِ؟ مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ وَأَيُّهُمَا أَبْقَى؟ مَنْ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ تَوْظِيْفَهُمَا؟ مَنْ مِنْهُمْ خَانَهُ الْحَظُّ فِي ذَلِكَ؟

1. الثُّورُ وَالضُّوءُ فِي الْمَرْجِعِيَّاتِ الثَّلَاثِ:

1.1. الثُّورُ: هُوَ اسْمٌ مِنْ "أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الدَّالَّةِ عَلَى "خُصُوصٍ مَا يُمَدِّحُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ² (العزى، عبد المنعم صالح العلى)، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ (الثُّورُ) "قَدِيمٌ بِلَا اِبْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا اِنْتِهَاءٍ" ³ (العزى، عبد المنعم صالح العلى)، أَيْ أَنَّهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ (3)﴾. [سورة الحديد؛ آ: 3].

وَمُصَدِّقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» ⁴ (العزى، عبد المنعم صالح العلى)، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ قَطُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ لِقَوْلِ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)﴾. [سورة الشورى؛ الآية: 11].

لَمْ يَرِدِ اسْمُ اللَّهِ (الثُّورُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُعَرَّفًا بِـ "ال" إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً إِذْ سُمِّيَتْ بِهِ (سُورَةُ الثُّورِ) بَيْنَمَا وَرَدَ مُعَرَّفًا بِالإِضَافَةِ بِالسُّورَةِ نَفْسِهَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ وَتَمَامُ الْآيَةِ هُوَ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)﴾. [سورة النور، الآية: 35].

> أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾: فَمِثْلُ نُورِهِ الَّذِي أُعْطِيَ الْمُؤْمِنَ فِي قَلْبِهِ ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ وَالْمِشْكَاةُ: الْكُوَّةُ فِي الْبَيْتِ الَّتِي لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ، وَهِيَ مِثْلُ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ. وَيَمْضِي الشَّيْخُ الْمُفَسِّرُ شَارِحًا (مِصْبَاحٌ = الثُّورُ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ)، وَ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أَيُّ فِي قَنْدِيلٍ وَهِيَ صَافِيَةٌ، وَيَمَازِلُهَا فِي الصَّفَاءِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى شَرْحِ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أَيُّ: نُورُ النَّارِ عَلَى الزَّيْتِ فِي الْمِصْبَاحِ، فَكَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ صَارَ نُورًا عَلَى نُورٍ، كَمَا صَارَ

المُصْبَاحُ فِيهِ النَّارُ نُورًا عَلَى نُورٍ: نُورُ الزُّجَاجَةِ، وَنُورُ الزَّيْتِ، وَنُورُ المِصْبَاحِ. وَيَخْتِمُ تَفْسِيرَهُ لِآيَةِ بَقَوْلِهِ بِأَنَّ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أَي: لِدِينِهِ. <5 (بالحاج بن سعيد شريفي، 2011م) فالله سبحانه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَي: عَمَّهَا نُورُهُ وَهُوَ النُّورُ الْحِسِّيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ الَّذِي بَنَى فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ مُلْكِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَتَحْتَهُ، وَفِي السَّمَاوَاتِ الطَّبَاقِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلَتْ، وَفِي الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَتْ، ذَلِكَ النُّورُ الْمُبْتَوِّثُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي الْهَوَاءِ وَالْبَرَارِيِّ وَالْبَحَارِ، فَوْقَ الْمَاءِ وَتَحْتَهُ وَفَوْقَ الثَّرَى وَتَحْتِ الثَّرَى، وَفِي الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ، وَفِي الْعُقُولِ وَالْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ السَّوِيَّةِ وَفِي الْأَفْهَامِ الْقَوِيمةِ، وَهُوَ النُّورُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. وَهُوَ دِينُهُ (الإسلام) إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَعَيِّرْ دِينَ اللَّهِ يَتَعَوَّنَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (83) [سورة آل عمران؛ الآية: 83] رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: نُورٌ، فَأَنْتَى أَرَاهُ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: «رَأَيْتُ نُورًا»⁶ (العزى، عبد المنعم صالح العلى).

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ (النُّورُ) وَ"حِجَابُهُ النُّورُ وَهُوَ مُصَدِّرُ النُّورِ" كَمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ (آ: 35 مِنْ سُورَةِ النُّورِ)، وَكَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ حَيْثُ قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلَ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» (العزى، عبد المنعم صالح)⁷ مِمَّا سَبَقَ تَتَجَلَّى لَنَا الْأَدِلَّةُ الْقَاطِعَةُ السَّاطِعَةُ عَلَى أَزَلِيَّةِ النُّورِ سُبْحَانَهُ قَبْلَ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ الْأَوَّلُ وَفِيهِ الْحُجَجُ الْبَالِغَةُ عَلَى أَبَدِيَّةِ النُّورِ سُبْحَانَهُ وَحِجَابِهِ عَكْسَ كُلِّ الْكَائِنَاتِ لِأَنَّهُ الْبَاقِي الْآخِرُ سُبْحَانَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، إِذْ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْحَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27). [س الرحمن؛ آ: 26 — 27]. و﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (88) [سورة القصص؛ آ: 88]. فَنُورُهُ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ، أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ — وَإِنْ شَبَّهَهُ بِمِشْكَاةٍ — فَهُوَ ضَرْبٌ لِلْأَمْثَالِ مِنْ "الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ" لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ جَاعِلُ النُّورِ فِي مَلَكُوتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (1) [سورة الأنعام؛ آ: 1]. وَمِصَدِّقًا لِمَا وَرَدَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَثَمَّةُ آيَاتٍ عَدِيدَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى مُفْرَدَةِ النُّورِ وَتَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ بَشْءٍ عَزَّ وَجَلَّ نُورُهُ فِي مُلْكِهِ، مِنْهَا قَوْلُ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (69) [سورة الزمر، الآية: 69] فَيَوْمَئِذٍ لَا

شَمْسَ هُنَالِكَ تُضِيءُ الْأَرْضَ وَلَا قَمَرَ يُنِيرُهَا وَلَكِنَّهَا تُشْرِقُ بِنُورِ الثُّورِ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَيَوْمَهَا يَجْعَلُ اللَّهُ نُورًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)﴾. [سورة الحديد؛ الآيتان: 12، 13].

وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)﴾. [سورة التحريم؛ آ: 8].
إِضَافَةٌ إِلَى اسْمِهِ تَعَالَى (الثُّورِ)، فَقَدْ شَمِلَتْ دِلَالَةُ لَفْظَةِ (الثُّورِ) أَشْيَاءَ عَدِيدَةً وَأُمُورًا كَثِيرَةً بِمُجَرَّدِ قِرَاءَتِهَا أَوْ سَمَاعِهَا يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِ الْقَارِئِ أَوْ السَّمَاعِ الْمُصَدِّقِ بِكَلِمَاتِ رَبِّهِ مَعْنَى (الثُّورِ) تَصْرِيحًا كَانَ أَوْ تَضْمِينًا مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَمْثَلَةِ لَا الْحَصْرِ: الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ، وَالْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ، وَالْوَحْيُ وَالْقُرْآنُ وَالْكِتَابُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَسَائِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَالْهُدَى وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالرَّشَادُ وَسَبِيلُ الرَّشَادِ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ وَالْبَيِّنَةُ، وَالتَّوْحِيدُ وَالْيَقِينُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَحُسْنُ عِبَادَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالسَّكِينَةُ وَالتَّقْوَى وَخَشْيَةُ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَالتَّوْبَةُ إِلَيْهِ، وَالْإِحْسَانُ وَالْبَصِيرَةُ وَالتَّبَصُّرُ، وَالْقَمَرُ، وَالْبَدْرُ وَالنُّجُومُ، وَالْجَنَّةُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَالْوِلْدَانُ الْمُخَلَّدُونَ وَالْحُورُ الْعِينُ، وَالْكَرْسِيُّ وَالْعَرْشُ وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالضَّرِيرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ...الخ. فَهِيَ كُلُّهَا أَلْفَاظٌ وَكَلِمَاتٌ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الثُّورِ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيَشْعُ مِنْهَا الثُّورُ فِي الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (البصائر)، لِأَنَّ >الدَّلَالَةَ تَقُومُ عَلَى جَانِبٍ مَادِّيٍّ (الدَّلَالِ)، وَجَانِبٍ ذَهْنِيِّ (المَدْلُولِ)، وَهُمَا مُحْتَمِعَانِ وَغَيْرُ مُنْفَصِلَيْنِ، تَمَامًا مِثْلَ وَجْهَيْ الْوَرَقَةِ الْوَاحِدَةِ<⁸. (بوجادي، خليفة، 2009)

(1) الْمَلَائِكَةُ: الْمَلَائِكَةُ مَخْلُوقَاتٌ لَطِيفَةٌ نُورَانِيَّةٌ خُلِقَتْ مِنْ نُورٍ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »⁹. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (الصالح، صبيحي).

(2) الْإِيمَانُ: قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[سورة البقرة؛ الآية: 257]. فَالْإِيمَانُ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَالْكَفَرُ ابْتِعَادٌ وَزَيْغٌ وَضَلَالٌ عَنْ نُورِ اللَّهِ وَتَبَّ فِي ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)﴾ [سورة الشورى؛ آ: 52].

3) الإسلام: حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22)﴾. [سورة الزمر؛ آ: 22]. وَكَذَلِكَ مَا تَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الْآيَةِ (35) مِنْ سُورَةِ التَّوْرَةِ وَفِي الْآيَةِ (83) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

4) القرآن والفرقان: قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9)﴾. [سورة الحديد؛ آ: 9].

إِنَّهُ النُّورُ الَّذِي يُخْرِجُ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مِنْ غِيَاهِبِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّقْوَى وَعِبَادَةِ اللَّهِ عَلَى عِلْمٍ، لِيَتَحَقِّقَ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ فِي الدَّارَيْنِ. إِنَّهُ النُّورُ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ الْمُؤْمِنَ الْمُتَّقِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا وَيَتَّبِعُ هَذَا وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ، فَيَصْدُقَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)﴾. [سورة الأنفال؛ آ: 29].

5) الكتاب والتوراة والإنجيل والزبور: هُوَ النُّورُ الْمُؤْتَلَقُ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ: قَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)﴾. [سورة الأنعام؛ آ: 91].

وَقَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8)﴾. [سورة الحج؛ آ: 8]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25)﴾. [سورة فاطر؛ آ: 25].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1)﴾. [سورة إبراهيم؛ آ: 1].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)﴾. [سورة إبراهيم؛ آ: 5].

كََمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ..... (44)﴾. [سورة المائدة؛ من الآية: 44].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46)﴾. [سورة المائدة؛ من الآية: 46].

6) **الْهُدَايَةُ وَالرَّشَادُ وَالْحَيَاةُ:** إِضَافَةً إِلَى مَا سَبَقَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)﴾. [سورة القصص؛ آ: 56]

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)﴾. [سورة الزمر؛ آ: 23].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)﴾. [سورة النحل؛ آ: 89]. كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81)﴾. [سورة النمل؛ آ: 81]. فَالْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ يَرَى بُنُورَ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ فِي غَسَقِ اللَّيْلِ، بَيْنَمَا يَضِلُّ الْكَافِرُ عَنِ السَّبِيلِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، وَيَعْمَهُ فِي الظُّلُمَاتِ وَالضُّوءِ سَاطِعٍ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28)﴾. [سورة الحديد؛ آ: 28].

وَالْمَعْنَى نَفْسُهُ قَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)﴾. [سورة الزمر؛ آ: 18].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾. [سورة البقرة؛ آ: 186].

فَالرَّشَادُ لِعِبَادِ اللَّهِ يَحْصُلُ عِنْدَمَا يَمْلَأُ قُلُوبُهُمْ نُورُ تَوْحِيدِهِ وَالْإِسْتِجَابَةُ لِأَوَامِرِهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ، فَيُؤْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنَاءَ دَعْوَةٍ مَنْ لَا يَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ وَلَا يُجِيبُونَ وَلَوْ سَمِعُوا، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، فَيَدْعُونَ اللَّهَ الرَّحْمَنَ ذَا الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى مُخْلِصِينَ لَهُ الدُّعَاءَ وَالَّذِينَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43)﴾. [سورة القصص؛ آ: 43]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾. [سورة الحج؛ آ: 46].

فَالْمُؤْمِنُ يَرَى بِقَلْبِهِ لِأَنَّهُ ذُو بَصِيرَةٍ بِهَا يَرَى نُورَ رَبِّهِ فَيَهْتَدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ وَيَكُونُ مُحْسِنًا يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَذَلِكَ نُورُ الْإِحْسَانِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)﴾. [سورة الأنبياء؛ آ: 51].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90)﴾. [سورة الأنعام؛ آ: 90].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ موجٌ مِنْ فَوْقِهِ موجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40)﴾. [سورة النور؛ آ: 40]. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)﴾. [سورة يس؛ آ: 70].

فَالْحَيَاةُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَالْمَوْتُ مَوْتُهَا، فَالْمُؤْمِنُ حَيٌّ يَغْمُرُ قَلْبُهُ الثُّورُ بَيْنَمَا الْكَافِرُ مَيِّتٌ تَعَشَى قَلْبُهُ الظُّلُمَاتُ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)﴾. [سورة الأنعام؛ آ: 122].

7) السَّكِينَةُ وَالطَّمَانِينَةُ: قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾. [سورة الرعد؛ آ: 28].

لَا رَيْبَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ نُورٌ مِنَ اللَّهِ، فَيَحْسُونَ بِالطَّمَانِينَةِ وَالسَّكِينَةِ تَمْلَأَنَّ قُلُوبَهُمْ وَتَعْمُرَانِهَا وَتُذْهِبَانِ عَنْهُمْ كُلَّ هَمٍّ وَغَمٍّ، وَتُهَوِّنَانِ عَلَيْهِمْ كُلَّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْهُمْ، أَوْ كُلَّ كَرْبٍ أَلَمَ بِهِمْ أَوْ حَزَنٍ.

8) الْعِلْمُ وَالْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ وَالْأَمْنُ: حَيْثُ قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾. [سورة العلق؛ آ: 28].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69)﴾. [سورة يس؛ آ: 69].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)﴾. [سورة الزمر؛ آ: 9].

إِنَّ نُورَ الْعِلْمِ الْحَقِيقِيِّ يَهْدِي الْمَرْءَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَيَرْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَاتٍ عَكْسَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ هَذَا الْعِلْمُ وَلَا يَهْتَدِي بَنُورِهِ، فَشَتَّانَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ وَأَتَى لَهُمَا أَنْ يَسَاوَيَا ! وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ذَلِكَ أُولُو الْبَصَائِرِ وَالْأَلْبَابِ الْمُسْتَنِيرَةِ بِنُورِ اللَّهِ الَّذِي يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)﴾. [سورة البقرة؛ آ: 151].

ذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي بُنِيَ يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِيهِ: ﴿...آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)﴾. [سورة آل عمران؛ من الآية: 7]. إِذْ لَيْسَ بِعَالِمٍ كُلٌّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ نُورُ عِلْمِهِ — وَإِنْ نَفَذَ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ حُسْنَ الْعِبَادَةِ. فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾. (سورة الحج؛ الآية: 8). فَالْعِلْمُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يُفْضِي نُورَهُ بِصَاحِبِهِ إِلَى خَشْيَةِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾. [سورة فاطر؛ الآية: 28].

وَالْعِلْمُ الْحَقُّ مَنْ يُلْهِمُهُ يَكُنْ لَهُ حِصْنٌ أَمِنْ فَلَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ الْحَقَّ وَحْدَهُ وَلَا يَأْبَهُ بِمَنْ دُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَذَلِكَ الثُّورُ الَّذِي مَلَأَ قَلْبَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُجِيبُ قَوْمَهُ الْمُجَادِلِينَ الْمُحَاجِّينَ كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)﴾. [سورة الأنعام؛ الآيات: 80 — 83].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174)﴾. [سورة النساء؛ الآية: 174].

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (من البحر البسيط):

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءِ حِفْظِي فَأَرَشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِعَاصِي¹⁰

(خفاجي، الدكتور محمد عبد المنعم، 1405 هـ — 1985 م).

مُلاحَظَةٌ: كَانَ مِنَ الْأَصَوِّبِ بَلْ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ تَرِدَ لَفْظَةُ (عَاصِي) فِي الْبَيْتِ الثَّانِي دُونَ يَاءِ أَيٍّ (عَاصٍ) لِأَنَّهَا اسْمٌ مَنْقُوصٌ مَجْرُورٌ، لَكِنَّ الصَّرُورَةَ الشَّعْرِيَّةَ حَتَمَتْ عَلَى الْإِمَامِ ذَلِكَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48)﴾. [سورة الأنبياء؛ آ: 48].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)﴾. [سورة الشعراء؛ الآيات: 60—62].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)﴾. [سورة الأنبياء؛ آ: 73].

كَمَا قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106)﴾ [سورة الأنعام؛ آ: 104 — 106].

أَمَّا عَنْ مَنَاقِبِهِ الْخُلُقِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ رَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ خَالِهِ هِنْدِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ، وَاصِفًا حَلِيتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْمًا مُفَخَّمًا، يَتَلَأَلُ وَجْهُهُ تَلَأُلُو الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ...)¹¹ (الشعرراوي، محمد متولي؛ الأنصاري، أبو هاني، 1980)، أَيْ أَنَّ وَجْهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنِيرٌ يَتَلَأَلُ مِثْلَ الْقَمَرِ وَهُوَ بَدْرٌ.

وَقَدْ أَحْسَنَ أَهْلُ يَثْرِبَ مِنْ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ وَصَفَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ دَخَلَهَا (يَثْرِبَ) مُهَاجِرًا حَامِدِينَ اللَّهَ وَمُسَبِّحِينَ إِيَّاهُ وَالْفَرَحَ وَالسُّرُورَ يُعْمَرَانِهِمْ وَهُمْ يُرَدُّونَ: طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ¹²

(المباركفوري، صفي الرحمن، 1431 هـ — 2010 م)

فَقَدْ شَبَّهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْمُكْتَمِلِ (البدر) قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ الْأَحْزَابِ الَّتِي شَبَّهَ فِيهَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ بِالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يَوْمِ دُخُولِ يَثْرِبَ) سُمِّيَتْ يَثْرِبُ بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ الْمُنُورَةِ.

2. **الضَّوْءُ:** الضَّوْءُ لُغَةً هُوَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (ضَاءَ)، وَهُوَ مُفْرَدٌ أَضْوَاءً، أَمَّا اصْطِلَاحًا فَهُوَ الْمَقْدَارُ الْفِيزِيَائِيُّ الْمَشْعُ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْ جُسَيْمَاتٍ دَقِيقَةٍ تُسَمَّى الْفُوتُونَاتِ، وَتَتَحَرَّكُ عَلَى شَكْلِ مَوْجَاتٍ أَوْ حُزَمٍ كَهْرُومَغْنَطِيسِيَّةٍ بِسُرْعَةٍ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ كِيلُومِتر (أَوْ مَائَتَيْنِ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ أَلْفٍ كِيلُومِتر) فِي الثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ وَيُمْكِنُ تَحْلِيلُ طَيْفِ اللَّوْنِ الْأَبْيَضِ لِلضَّوْءِ إِلَى أَلْوَانٍ عَدِيدَةٍ.

لَا يَنْبَغُ ضَوْءٌ إِلَّا مِنْ نَارٍ، سَاطِعًا كَانَ أَمْ خَافِتًا بَاهِتًا، وَمَصَادِرُ الضَّوْءِ هِيَ كُلُّ نَارٍ مُتَوَقِّدَةٍ مُلْتَهَبَةٍ حَارِقَةٍ تَشَعُّ (تُضِيءُ) وَيَنْبَغُ شُعَاعُهَا (ضَوْعُهَا) مِنْ أَيْ جِسْمٍ مُلْتَهَبٍ مِنْ: حَطَبٍ أَوْ جَمْرٍ أَوْ هَشِيمٍ، أَوْ بَتْرُولٍ أَوْ غَازٍ أَوْ زَيْتٍ أَوْ قَيْلٍ سِرَاجٍ أَوْ شَمْعَةٍ أَوْ الشَّمْسِ أَوْ الشُّهُبِ أَوْ الْبَرْقِ، أَوْ بُرْكَانٍ أَوْ مِصْبَاحٍ كَهْرَبَائِيٍّ، أَوْ مَحْطَّةٍ حَرَارِيَّةٍ أَوْ نَوَوِيَّةٍ أَوْ كُرَاتِ اللَّهَبِ الزَّيْتِيَّةِ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ أَوْ الْمَدَافِعِ وَرَاجِمَاتِ الصَّوَارِيخِ فِي زَمَانِنَا.... الخ. فَكُلَّمَا ذُكِرَ أَحَدُهَا تَبَادَرَ إِلَى الذِّهْنِ ضَوْءُ نَارِهَا.

فَالشَّمْسُ الْوَهَاجَةُ هِيَ مَصْدَرُ الضَّوْءِ بِالنَّهَارِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13)﴾. [سورة النبا؛ الآية: 13]، إِذْ تَهْتَدِي بِضَوْوِهَا الْخَلَائِقُ مِنْ بَشَرٍ وَدَوَابٍّ، وَتَقُومُ النَّبَاتَاتُ — بِحُضُورِ ضَوْوِهَا — بِعَمَلِيَّةِ التَّمَثِيلِ الضَّوْئِيِّ الَّذِي يَضْمَنُ نَعْدِيَّتَهَا.

وَالنَّارُ كَذَلِكَ يَسْتَضِيءُ بِضَوْوِهَا الْبَشَرُ لَيْلًا، الْمُقِيمُونَ مِنْهُمْ وَالْمُسَافِرُونَ بَرًّا أَوْ بَحْرًا، وَبِهَا يَهْتَدِي وَيَأْتِسُ الضُّيُوفُ إِلَى أَحْيَاءِ أَقْوَامٍ يَتَعُونُ الْقَرَى وَالتَّدْفِئَةُ أَوْ الْمَبِيتُ أَوْ الْإِسْتِرْشَادُ عَلَى الطَّرِيقِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي

آتَيْكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) ﴿﴾. [سورة طه؛ الآية: 10]. فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَاهَا نَارًا عِنْدَ نَفْسِهِ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ نُورًا.

وَكَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ

آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) ﴿﴾. [سورة النمل؛ الآية: 7]. فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُنَا لَمَّا قَفَلَ رَاجِعًا مِنْ مَدْيَنَ إِلَى مِصْرَ رَأَى ضَوْءَ النَّارِ (فِي اعْتِقَادِهِ) فَقَصَّدَ مَكَانَهَا لِيَسْتَرْشِدَ عَنِ السَّبِيلِ الْمُوصِلِ إِلَى وَجْهَتِهِ (مِصْرَ)، أَوْ لِيَأْتِيَ أَهْلَهُ عَلَى الْأَقْلَبِ بِشِهَابٍ قَبَسٍ (جَذْوَةٍ) مِنْهَا لِيَصْطَلُوا مِنْ قَرِّ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الشَّدِيدِ وَكَانَ شَاتِيًا، وَهُنَا تَبَيَّنَ أَنَّ كُلًّا مِنَ النَّارِ وَالشَّهَابِ الْقَبَسِ أَوْ الْجَذْوَةِ هِيَ مَصَادِرُ لِلضَّوِّ تُرَى بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ وَلَيْسَتْ نُورًا يُرَى بِالْقَلْبِ. وَقَدْ وَرَدَتْ نِسْبَةُ الضَّوِّ إِلَى النَّارِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، حَيْثُ قَالَ الْأَعَشَى مَادِحًا الْمُحَلَّقَ: لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْيَفَاعِ تَحَرَّقُ¹³

(علي، عبد الرحمن عبد الحميد، 1428 هـ / 2008 م).

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَصِفُ لَيْلَتَهُ مَعَ ضَيْفِهِ الذُّبِّ:

فَبِتُّ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانٍ¹⁴ (الفاخوري، حنا) وَالشَّاعِرُ اسْتَعْمَلَ فِي كَلَامِهِ (ضَوْءَ نَارٍ) وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ (نُورَ نَارٍ).

وَفِي ضَوْءِ الْبَرْقِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) ﴿﴾. [سورة البقرة؛ الآيات: 19، 20]. الصَّيْبُ هُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَنْزِلُ بِكَثْرَةٍ، وَالْبَرْقُ هُوَ ذَلِكَ الضَّوُّ الْمَهِيْبُ الَّذِي يَتَخَلَّلُ ظُلُمَاتِ السُّحُبِ السُّودِ الْمُمَطَّرَةِ وَيَعْقِبُهُ صَوْتُ الرَّعْدِ الْمُخِيفِ، وَفَقَدْ ضَرَبَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْآيَتَيْنِ مَثَلًا لِمَنَافِقِينَ إِذَا أَصَابُوا فِي الْإِسْلَامِ رَحَاءً وَطُمَأْنِينَةً طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فِي ذَلِكَ وَسُرُّوا فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ فِيهِ شِدَّةٌ لَمْ يَصْبِرُوا عَلَيْهَا وَلَمْ يَرْجُوا عَاقِبَتَهَا، فَالظُّلُمَاتُ الشَّدَّةُ، وَالرَّعْدُ هُوَ التَّخَوُّفُ مِنْ مَجِيءِ الشَّدَّةِ وَالْبَرْقُ مَثَلُ نُرِّ الْإِسْلَامِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ نُورُ الْقُرْآنِ... وَالْبَرْقُ كُلَّمَا أَضَاءَ لِلْمَنَافِقِينَ مَضُوءًا، وَإِذَا أَظْلَمَ بَقَوْ لَا يُصْبِرُونَ¹⁵ (شريف، بالحاج سعيد، 2011 م) وَالْبَرْقُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَافُ ضَوْؤُهُ وَيُطْمَعُ فِي نُزُولِ الْمَطَرِ الْعَزِيزِ الَّذِي بِهِ الرِّزْقُ وَنَفْعُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (12) مِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ وَفِي الْآيَةِ الْمُوَالِيَةِ جَاءَ ذِكْرُ الصَّوَاعِقِ وَهِيَ النَّارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ السَّحَابِ وَهِيَ طَبْعًا مُضِيئَةٌ¹⁶. (السعدي، العلامة الشيخ عبد الرحمان بن ناصر، 1433 هـ — 2012 م)

فَالْبَرْقُ ضَوْءٌ نَاجِمٌ عَنِ اصْطِدَامِ بَيْنِ الشُّحُنَاتِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ لِذَرَاتِ الْهَيْدروجينِ وَالْأُكْسِجِينِ الْمُكَوَّنَةِ لِجُزْئَاتِ الْمَاءِ فِي السَّحَابِ، أَثْنَاءَ تَصَادُمِ السُّحُبِ وَتَدَاخُلِهَا بَعْضُهَا بَعْضًا، فَتَحْدُثُ بَيْنَ دَارَةٍ قَصِيرَةٍ عَلَى

شَكْلٍ قَوْسٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ مُضِيئَةٍ أَوْ شَرَارَةٍ ذَاتٍ وَمِيزٍ. وَقَدْ أوردَ فؤاد أفرام البستاني هذا المعنى في (منجد الطلاب) — مادة برق — بقوله: ([البرق] نُورٌ يَلْمَعُ فِي السَّمَاءِ عَلَى أَثَرِ انْفِجَارِ كَهْرَبَائِيٍّ فِي السَّحَابِ جُبرُوقٌ)¹⁷ (البستاني، فؤاد أفرام، 1981)

وجاء في الشُّهُبِ الْمُضِيئَةِ الَّتِي يَرَاهَا الرَّائِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ:

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9)﴾. [سورة الجن؛ الآيتان: 8، 9].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)﴾. [سورة الصافات؛ الآية: 10].

وكذلك: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18)﴾. [سورة الحجر؛ الآية: 18].

<أَيُّ أَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُضِيءٌ، وَتَقْوَبُهُ: ضَوْؤُهُ. >¹⁸ (شريقي، بالحاج بن سعيد، 2011)

وَالشُّهُبُ تَبْدُو لِلْعَيَانِ بِاللَّيْلِ وَتُضِيءُ فِي دُجَاهِ، لِذَلِكَ شَبَّ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ الْعِيدُ آلَ خَلِيفَةِ (الشُّهَدَاءِ) بِالشُّهُبِ تُضِيءُ دُرُوبَ الثُّورِ إِبَانًا لِيَالِيِ الْإِسْتِدْمَارِ الْحَالِكَاتِ وَتَشْهَدُ عَلَى بُطُولَاتِهِمْ وَتَضْحِيَاتِهِمْ بِقَوْلِهِ:

شُهَدَاءُ الْأَوْطَانِ شُهَبٌ دُجَاهَا وَشُهُودُ الْفِدَا وَالْإِسْتِيسَالِ¹⁹ (خليفة، محمد علي، 1979)

3. مُقَارَنَةُ بَيْنِ الثُّورِ وَالضَّوْءِ: لَا شَكَّ أَنَّ اللَّفْظَيْنِ لَيْسَتْا مُتَرَادِفَتَيْنِ، وَخَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَصْدَقِ

الْقَائِلِينَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)﴾. [سورة الفرقان؛ الآيتان: 61، 62]. فَالْقَمَرُ

مَنْبَعُ نُورٍ، بَيْنَمَا السِّرَاجُ (الشَّمْسُ) مَصْدَرُ ضَوْءٍ وَإِنْ لَمْ تُصْرَحْ بِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ

إِلَّا بِالْحَقِّ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5)﴾. [سورة يونس؛ الآية: 5]. أَوْ كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (16)﴾. [سورة نوح؛ الآيتان: 15، 16].

وَهُنَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الضَّوْءَ (الضِّيَاءَ) مُرْتَبِطٌ بِالشَّمْسِ وَصَادِرٌ مِنْهَا، بَيْنَمَا

يَرْتَبِطُ الثُّورُ بِالْقَمَرِ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ الضِّيَاءُ وَالثُّورُ مُتَرَادِفَيْنِ، لَجَاءَ الْقَمَرُ فِي الْآيَةِ

الْخَامِسَةِ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ مَعْطُوفًا عَلَى الشَّمْسِ (الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ لِلْفِعْلِ <جَعَلَ>) وَلَكَانَ

الْمَفْعُولُ الثَّانِي إِمَّا (ضِيَاءً) وَإِمَّا (نُورًا) خَاصَّةً وَأَنَّ مِنْ عَجَائِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي

الْبَلَاغَةَ وَالْجَزَالَ لَا التَّكَرَّارَ وَالْإِسْهَابَ. وَلَكِنْ لِاخْتِلَافِ مَعْنِيهِمَا فَقَدْ جَعَلَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الشَّمْسُ الْمُتَهَبَّةَ الْمُحْتَرِقَةَ الْمُتَوَهَّجَةَ ضِيَاءً، بَيْنَمَا جَعَلَ الْقَمَرَ الْهَادِي الْوَدِيعَ نُورًا.

وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْآيَةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ، أَيْنَ اسْتَقْلَلَ الثُّورُ عَنِ السِّرَاجِ اسْتِقْلَالَ الْقَمَرِ

عَنِ الشَّمْسِ.

وَقَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا

مُنِيرًا (46)﴾. [سورة الأحزاب؛ الآيتان: 45، 46].

فَالضُّوْءُ إِذَا هُوَ مَا صَدَرَ عَنْ مُلْتَهَبٍ حَارِقٍ، وَالتُّورُ مَا صَدَرَ عَنْ غَيْرِ مُحْتَرِقٍ وَغَيْرِ مُلْتَهَبٍ. وَعَلَيْهِ كَانَ حَرِيًّا بِنَا عَدَمَ تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يَلْمَعُ (يُنِيرُ)، بِالشَّمْسِ الْمُلْتَهَبَةِ الْحَارِقَةِ الْمُضِيئَةِ، أَيْ لَا يَجِبُ الْمُرَادَفَةُ بَيْنَ لَفْظَتَيِ التُّورِ وَالضُّوْءِ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْوَصْفِ التَّلَافُؤُ وَالِإِشْرَاقُ.

وَلَيْنَ شَبَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّرَاجِ (سِرَاجًا) فَقَدْ وَصَفَ هَذَا السَّرَاجَ بِـ (مُنِيرًا) الْمُشْتَقُّ مِنَ التُّورِ، وَلَمْ يَنْعَتَهُ بِـ (مُضِيئًا) الْمُشْتَقُّ مِنَ الضُّوْءِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَشَرٌ جَسَدُهُ الزَّكِيُّ غَيْرُ مُلْتَهَبٍ وَلَا وَهَّاجٍ، أُرْسِلَ لِلْعَالَمِينَ يُبَلِّغُهُمْ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ رَبِّهِمْ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)﴾. [سورة الأحزاب؛ الآيتان : 45 ، 46].

وَلَيْنَ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ (التُّورَ إِشْرَاقٌ لَيْسَ فِيهِ إِحْرَاقٌ)، وَأَنَّ (الضِّيَاءَ إِشْرَاقٌ قَدْ يَكُونُ فِيهِ إِحْرَاقٌ)، فَلَعَلَّهُمْ هُنَا — وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا <قد> الْمُفِيدَةَ لِلتَّقْلِيلِ لِيُورِدُهَا قَبْلَ الْمُضَارِعِ — فَصَدُّوا شِدَّةَ حَرِّ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ (الرَّمضاءِ) وَهِيَ حَالَةٌ نَادِرَةٌ مِنَ الضُّوْءِ الْحَارِقِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُشِيرُوا إِلَى أَنَّ الضُّوْءَ جُلُّهُ غَيْرُ حَارِقٍ إِلَّا أَنَّ مَصَادِرَهُ حَارِقَةٌ كُلُّهَا مِثْلَ النَّارِ وَالشَّمْسِ وَالشُّهُبِ، وَالْأَنْظِمَةُ الْكَهْرَبَائِيَّةُ كُلُّهَا لِأَنَّ ضَوْعَهَا نَاجِمٌ عَنْ تَحْوِيلِ لِلطَّاقَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ إِلَى طَاقَةٍ حَرَارِيَّةٍ فِي مُقَاوِمَاتٍ أَسْلَاكِهَا الَّتِي تَسْخُنُ حَتَّى الْإِحْمَرَارِ بِمُرُورِ زَمَنِ مِنْ بَدْءِ سَرِيانِ التِّيَّارِ الْكَهْرَبَائِيِّ فِيهَا، ثُمَّ تُنَشَّرُ عَلَى شَكْلِ ضَوْءٍ بِفَضْلِ الْبُلُورَاتِ الزُّجَاجِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، وَهَذَا مَا يُعْرَفُ بِقَانُونِ جُولٍ فِي الْكَهْرَبَاءِ، وَقَدْ وَرَدَ الضِّيَاءُ (غَيْرُ الْحَارِقِ وَذُو الْأَصْلِ غَيْرِ الْحَارِقِ) بِمَعْنَى التُّورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48)﴾. [سورة الأنبياء؛ الآية : 48]. فَالْوَاخُ التُّورَةُ لَيْسَتْ حَارِقَةً وَعَلَيْهِ فَالضِّيَاءُ هُنَا بِمَعْنَى التُّورِ. وَلَعَلَّ أَبَا فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيَّ وَظَفَ الْمَعْنَى السَّابِقَ لِلْفَلْظَةِ (ضِيَاء=تُورًا) حِينَ قَالَ يُرْنِي أُمُّهُ: بَأَيِّ دُعَاءٍ دَاعِيَةٍ أُوقِي؟ بَأَيِّ ضِيَاءٍ وَجْهِه أَسْتَنِيرُ؟²⁰ (البستاني، فؤاد أفرام، 1981).

وَحَذَا حَدُوهُ أَحْمَدُ شَوْقِي فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ (وُلِدَ الْهُدَى)، إِذْ قَالَ:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَنَّاءٌ²¹. (الفاخوري، حنا).

كَمَا وَرَدَ ضِيَاءٌ بِمَعْنَى (نَار = ضَوْء) فِي الْآيَةِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71)﴾. [سورة القصص؛ الآية : 71].

4. نَقْدُ نُصُوصٍ وَظَفَتْ بِهَا اللَّفْظَتَانِ: لَقَدْ وَظَفَتْ لَفْظَتَا (التُّورِ) وَ(الضُّوْءِ) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَنُصُوصِهِمْ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحْسَنَ تَوْظِيفَهُمَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُوقِفْ، عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ الْجَاهِلِيُّونَ مَعْدُورِينَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَعْنَى التُّورِ يَوْمَهَا، فَالْوَمُ كُلُّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ — إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ — الَّذِينَ عَرَفُوا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، جَهْلًا مِنْهُمْ أَوْ لِعَدَمِ إِمْعَانِهِمُ الْفِكْرَ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ اللَّفْظَتَيْنِ وَمَعْنِيَهُمَا، فَرَاخُوا يُوظِّفُونَهُمَا فِي غَيْرِ مَوْضِعَيْهِمَا بِأَنْ رَادَفُوا بَيْنَهُمَا رَغْمَ وَضُوحِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، وَإِنَّ الْأَمثلةَ عَنْ ذَلِكَ لَشَتَّى وَمِنْهَا:

— قَالَ لَبِيدٌ: وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ²²
(رومية، وهب أحمد، 1416 هـ / 1996 م).

الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ قَدْ أَجَادَ فِي نَسْبَةِ الضَّوْءِ إِلَى الشَّهَابِ، وَلَكِنَّهُ شَبَّهَ الْمَرْءَ غَيْرَ الْمُحْتَرِقِ وَغَيْرَ الْحَارِقِ بِالشَّهَابِ الْحَارِقِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فِي حِينَ أَنَّهُ يُرِيدُ تَشْبِيهَ قِصْرِ عُمْرِ هَذَا الْمَرْءِ وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهِ كَمَا يَنْقُضِي عُمْرُ الشَّهَابِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ لِيُصْبِحَ بَعْدَ هَيْبَتِهِ مِنْ سَطْوَعِهِ (لَا أَثَرَ) بَعْدَ عَيْنٍ.

— وَهُوَ الْمَعْنَى نَفْسُهُ الَّذِي أَرَادَهُ الشَّاعِرُ عَدِيٌّ فِي قَوْلِهِ:

وَلَكِنْ كَالشَّهَابِ سَنَاهُ يَخْبُو وَحَادِي الْمَوْتِ عَنْهُ مَا يَحَارُ²³ (رومية، وهب أحمد، 1416 هـ / 1996 م).

— أَوْرَدَ وَهْبُ أَحْمَدُ رُومِيَّةً فِي مَعْرِضِ شَرْحِهِ لِلْبَيْتِ:

فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لَطِيفَاتِي مَطَايَا وَأَرْحُلُ.

مِنْ لَامِيَةِ الْعَرَبِ لِلشَّنْفَرَى مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ بِقَوْلِهِ:

>> ... الظَّلَامُ الَّذِي يَكْتَسِفُ عِلَاقَةَ الشَّاعِرِ بِقَوْمِهِ وَيُخَيِّمُ عَلَيْهَا، وَضَوْءُ الْهَدَايَةِ وَالرَّشَادِ — لِنَقْلِ ضَوْءِ الْعَقْلِ — الَّذِي يَشْقُ هَذِهِ الظُّلْمَةَ الدَّاجِيَةَ وَيُدِدُ بَعْضَهَا، فَتَظْهَرُ الْأُمُورُ عَلَى حَقِيقَتِهَا أَوْ قَرِيبَةً مِنْهَا (فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ)، وَمَا عَلَى الشَّاعِرِ إِلَّا أَنْ يَسْتَضِيءَ بِهَذَا النُّورِ، وَيَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْتِضَاءَةِ بِهِ كَيْ لَا يَبْقَى لَهُمْ عُذْرٌ..... وَالرَّجِيلَ عَنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِنُورِ الْقَمَرِ..... أَوْ بِنُورِ الْعَقْلِ فِي أَرْجَاءِ هَذِهِ الْأَرْضِ.....<<²⁴ (رومية، وهب أحمد، 1416 هـ / 1996 م)

نُلاحِظُ هُنَا أَنَّ الْكَاتِبَ قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فَرَاحَ يَخْلُطُ بَيْنَ الضَّوْءِ وَمُسْتَقَاتِهِ (يَسْتَضِيءُ، اسْتِضَاءَةً، مُسْتَضِيئًا) وَالنُّورِ وَمُسْتَقَاتِهِ (يَسْتَنِيرُ، اسْتِنَارَةً، مُسْتَنِيرًا)، فَقَدْ أَقْحَمَ فِي نَصِّهِ هَذَا أَلْفَاظَ (الضَّوْءِ)، وَ(يَسْتَضِيءُ)، وَ(الْإِسْتِضَاءَةِ)، وَ(مُسْتَضِيئًا) وَهِيَ غَرِيبَةٌ عَنِ النَّصِّ وَدَخِيلَةٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ حَرِيًّا بِهِ الْقَوْلُ: — وَنُورَ الْهَدَايَةِ وَالرَّشَادِ — لِنَقْلِ نُورِ الْعَقْلِ — ... إِلَّا أَنْ يَسْتَنِيرَ بِهَذَا النُّورِ — يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْتِنَارَةِ بِهِ — ... مُسْتَنِيرًا بِنُورِ الْقَمَرِ — وَلَكِي لَا نَعْمِطُهُ حَقًّا فَقَدْ أَصَابَ فِي قَوْلِهِ: (أَوْ بِنُورِ الْعَقْلِ).

— قَالَ لَبِيدٌ يَصِفُ بَقْرَةً وَحَشِيَّةً: وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً كَجُمَانَةِ الْبَحْرِ سُلَّ نِظَامُهَا²⁵

(علي، عبد الرحمن عبد الحميد، 1428 هـ / 2008 م).

فَاعِلٌ (تُضِيءُ) هُنَا هُوَ (الْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ) فَهِيَ تُنِيرُ وَلَا تُضِيءُ لِكُونِهَا جِسْمًا غَيْرَ مُلْتَهَبٍ، بَيْنَمَا أَصَابَ فِي تَشْبِيهِهَا بِالْجُمَانَةِ الْمُنِيرَةِ لِكُونِ الْجُمَانَةِ تَنَالًا وَلَا تُضِيءُ.

— وَقَالَ زُهَيْرٌ بْنُ أَبِي سَلَمَى: لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ²⁶

(البجاوي، علي محمد)

كَمْ أَحْسَنَ زُهَيْرٌ فِي نَعْنِهِ مَمْلُوحَهُ (هَرَمَ بْنَ سِنَانٍ) بِمُنُورٍ لَيْلَةَ الْبَدْرِ بَدَلَ الْقَمَرِ وَهُوَ فِي أَكْمَلِ نُورِهِ.

— مِنْ وَصَايَا لُقْمَانَ لِابْنِهِ: (.. يَا بُنَيَّ زَاحِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتَيْكَ وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ فَإِنَّ الْقَلْبَ يَحْيَا بِنُورِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ بِمَطَرِ السَّمَاءِ)²⁷ (علي، عبد الرحمن عبد الحميد، 1428 هـ / 2008 م).

إِنَّ مُصَدَّرَ (نُورِ الْعُلَمَاءِ) فِي قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ، وَالَّذِي بِفَضْلِهِ سَمَّاهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ بَوَرَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلُقْمَانُ الَّذِي خَلَّدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِكْمَهُ وَوَصَايَاهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَيَعْبِي مَا يُقُولُ بِتَبْعِيهِ (نُورِ الْعُلَمَاءِ) وَعَدَمَ قَوْلِهِ (ضَوْءِ الْعُلَمَاءِ).

— وَهَذَا حَسَنٌ بَنُ ثَابِتٍ يُعَدُّ مَنَاقِبَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:
فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يُلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهْنَدُ²⁸. (الفاخوري، حنا)

لَقَدْ أَجَادَ حَسَنًا فِي وَصْفِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (... سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا)، مُسْتَهْدِيًا بِقَوْلِهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (46) ﴿[سورة الأحزاب؛ الآية : 46].

— بَيْنَمَا قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ مَادِحًا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَصِيدَتِهِ (الْبُرْدَةِ) :
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٍ²⁹. (الفاخوري، حنا).
إِنَّ كَعْبًا لَحَظَةً قَالَ قَصِيدَتَهُ (الْبُرْدَةِ)، لَمْ يُعْلِنْ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، فَهُوَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ (46 مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ) — وَعَلَيْهِ يُلْتَمَسُ لَهُ بَعْضُ الْعُذْرِ — لِذَلِكَ قَالَ: (نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ) وَلَمْ يَقُلْ: نُورٌ يُسْتَنَارُ بِهِ. كَمَا أَنَّ كَانَ فِي حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ مُضْطَرِّبَةٍ مِنْ خَوْفٍ شَدِيدٍ لَوْفُوفِهِ فِي مَقَامِ (بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) وَهُوَ مَقَامٌ يَرْتَعِدُ الْفِيلُ خَوْفًا لَوْ قَامَ بِهِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي بَيْتٍ سَابِقٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كَمَا قَالَ أَنَّ الرَّسُولَ تَوَعَّدَهُ، وَرَغِمَ أَمْلِهِ فِي عَفْوِهِ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا إِنْ كَانَ سَيَقْبَلُ اعْتِذَارَهُ أَمْ لَا، وَقَدْ كَانَ مَيَّالًا إِلَى اسْتِجْلَابِ الْأَدَوَاتِ الْمَادِيَّةِ فِي خِطَابِهِ، لِيَدْخُلَ بِهَا عَالَمَهُ الْجَدِيدَ الَّذِي شَهِدَ انْتِقَالَ لِلْأَلْفَاظِ وَتَطَوُّرًا لِمَعَانِيهَا وَمَدْلُولَاتِهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَرَغِمَ تَشْبِيهِهِ رَسُولَ اللَّهِ بِالنُّورِ — وَهُوَ كَذَلِكَ كَمَا فِي الْآيَةِ — فَقَدْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ مَادِّيٍّ وَهُوَ الْمُهْنَدُ الْمَسْلُورُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَمْنَعُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ فِي أَرْضِهِ، وَاعْتِرَافًا مِنْهُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ الْمَرْحَمَةِ، لَقَدْ اصْطَنَعَ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ (أَعَادَ تَوَلِيدَ) مَعْنَى رُؤْيَا أُمِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ نُورًا يَخْرُجُ مِنْهَا فَتَضِيءُ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَالِدَتِهِ فَسَارَعَ إِلَى خَلْعِ بُرْدَتِهِ عَلَيْهِ أَمَّا فِي الشَّطْرِ الثَّانِي فَلَمْ يَزِدْ عَلَى وَصْفِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِكُنْيَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ (سَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُورِ) الَّتِي سَمِعَ بِهَا يَوْمَهَا الْقَاصِي وَالْدَّانِي. وَلِلطَّرَافَةِ: فَكَعْبٌ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ النَّابِغَةِ الدُّيَّانِي فِي اعْتِذَارِهِ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ حِينَ شَبَّهَهُ بِاللَّيْلِ فِي قَوْلِهِ: (فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي) وَمِنْ عُبَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ حِينَ صَامَ عَنْ قَوْلِ الشَّعْرِ لِقُرْبِ أَجَلِهِ وَقَالَ: (حَالَ الْحَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ).

— وَهَذَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ الَّذِي رَدَّدَتْ شِعْرَهُ الْأَجْيَالُ وَأَنْشَدَتْهُ الدُّهُورُ وَكَانَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَضَرٍ وَشَهِدَ لَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ، وَأَقَرَّ الْقَاصِي وَالْدَّانِي أَنَّهُ مِنْ فَطَاحِلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَبُعْدًا عَنِ الرِّكَاكَةِ وَاللَّحْنِ، قَدْ نَعَتَ الْقَمَرَ بِالْمُنِيرِ لَا الْمُضِيءِ فِي قَوْلِهِ:

وَأَسْرِي فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَخَيْدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرٍ³⁰. (المتنبي، أبو الطيب، 1400 هـ / 1980 م)

— كَمَا أَنَّ أَبَا فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيَّ قَدْ أَحْسَنَ تَوْظِيفَ الْفِعْلِ (يُضِيءُ) فِي قَوْلِهِ:
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي إِذَا هِيَ أَذْكَتُهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ³¹. (فؤاد، أفرام البستاني، 1981)
فَقَدْ اسْتَعَارَ الشَّاعِرُ عَنْ حُرْقَةِ الشَّوْقِ وَالتَّوَيِّ وَالْجَوَى فِي صَدْرِهِ بِالنَّارِ الْمُضْطَرِمَّةِ الَّتِي تُذْكِهَا الصَّبَابَةُ
وَالْفِكْرُ كُلَّمَا أَضَوَاهُ اللَّيْلُ، فَيَشِبُّ ضَرَامُهَا أَكْثَرَ حَتَّى يَكَادُ ضَوْعُهَا يَتَسَرَّبُ مِنْ بَيْنِ جَوَانِحِهِ إِلَى خَارِجِ
صَدْرِهِ..

— أَمَّا شَاعِرُ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ مُفْدِي زَكَرِيَاءُ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَقَدْ أَدْرَكَ وَهُوَ حَافِظٌ لِكِتَابِ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ
ثَمَّةَ تَرَادُفٍ بَيْنَ لَفْظَتَيْ (الثَّوْرِ) وَ(الضَّوْءِ)، فَلَمْ يُخْلِطْ بَيْنَهُمَا فِي شِعْرِهِ أَوْ فِي تَنْثَرِهِ وَوَضَعَ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مَوْضِعَهَا وَأَعْطَاهَا مَعْنَاهَا الْخَاصَّ بِهَا، فِيمَا قَالَ:

وَفَوْقَ سَمَائِهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ — نَطَارِحُهُ الْأَحَادِيثُ الْعِزَابَا³². (زكريا، مفدي، 1991)

وَهَذَا مُحَمَّدُ الْعِيدُ آلَ خَلِيفَةَ يَقُولُ فِي (صَدَى الصَّخَرَاءِ)، عَنِ النُّجُومِ:
وَبَاتَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَهِيَ طَوَالِعُ تَرْفُ لِي الْبُشْرَى بِنَيْلِ سُؤَالِي
وَتَرْتُو إِلَى وَجْهِي بِإِمَاضِ نُورِهَا فَيَهْجُهَا مِنِّي بِدَيْعِ حَمَالِي³³. (خليفة، محمد علي، 1979)

فَهُوَ هُنَا قَدْ وَصَفَ وَمِضَ النُّجُومَ وَلَمَعَانَهَا بِالثَّوْرِ لَا بِالضَّوْءِ وَهُوَ يَعْيِي مَا قَالَ.

4. النتائج:

لَقَدْ أَدَّى الْجَهْلُ بِالْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ لِكُلِّ مِنَ الثَّوْرِ وَالضَّوْءِ بِكَثِيرٍ مِنْ مُسْتَعْمِلِي اللَّفْظَتَيْنِ مِنْ
كِتَابٍ فِي مُخْتَلَفِ الْعُلُومِ، عِلْمَاءِ الشَّرِيعَةِ، أَدْبَاءِ وَصَحْفِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، (...) إِلَى تَوْظِيفِهِمَا فِي
غَيْرِ مَوْضِعَيْهِمَا فِي نُصُوصِهِمْ عَلَى عَدَمِ التَّرَادُفِ رَغْمَ أَنَّ الضَّوْءَ (صَادِرٌ دَائِمًا عَنْ جِسْمٍ مُلْتَهَبٍ
مُتَوَهِّجٍ)، فِي حِينِ أَنَّ الثَّوْرَ (صَادِرٌ عَنْ جِسْمٍ غَيْرٍ مُحْتَرِقٍ وَلَا أَثَرٍ لِنَارٍ فِيهِ وَلَا حَرَارَةٍ نَاهِيكَ عَنْ كَوْنِهِ
اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى)، وَعَلَيْهِ يَخْلُصُ هَذَا الْبَحْثُ إِلَى:

1 — أَنَّ لَفْظَتَيْ (الثَّوْرِ) وَ(الضَّوْءِ) تَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ قَائِمَيْنِ بِذَاتَيْهِمَا وَضَعَهُمَا اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
وَأَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، وَأَنَّهُمَا اسْمَانِ يُعْلَمُ مَعْنِيَاهُمَا فِي الشَّاهِدِ ثُمَّ يُبْنَى عَلَيْهِمَا فِي الْغَائِبِ وَأَنَّ الْإِسْمَيْنِ إِذَا ارْتَسَمَ
مَسْمُوعٌ كُلُّ مِنْهُمَا فِي الْخَيَالِ (الدَّهْنِ)، يَرْتَسِمُ مَعْنِيَاهُمَا فِي النَّفْسِ، فَتَدْرِكُ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ مَفْهُومَيْهِمَا، لِأَنَّ
كُلَّ لَفْظَةٍ مِنْهُمَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهَا الَّذِي وَضَعَتْ لَهُ مُطَابَقَةً، لِذَلِكَ وَجَبَتْ نِسْبَةُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ (الاسْمِ) إِلَى
مُسَمَّاها الَّذِي تَرْمِزُ إِلَيْهِ وَتَنْطَبِقُ عَلَيْهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي اسْتَقَتَتْ مِنَ الْمَرْجِعِيَّاتِ الثَّلَاثِ أَنْفَةِ
الذِّكْرِ.

2 — الثَّوْرُ وَالضَّوْءُ لَيْسَا مُتَرَادِفَيْنِ، فَالْأَوَّلُ (الثَّوْرُ) يُرَى وَيُدْرِكُ بِالْبَصَرِ وَبِالْبَصِيرَةِ، بَيْنَمَا الثَّانِي (الضَّوْءُ)
يُرَى بِالْبَصَرِ فَقَطْ.

- 3 — الثُّورُ حَاضِرٌ لَدَى الْمُسْلِمِ وَالْمُؤْمِنِ وَإِنْ غَابَ الضُّوءُ لَكِنَّهُ غَائِبٌ عَنِ الْكَافِرِ وَإِنْ حَضَرَ الضُّوءُ.
- 4 — إِنَّ مَثَلَ الثُّورِ وَالضُّوءِ كَمَثَلِ الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ، فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، بَيْنَمَا الْعَسَلُ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، فَكَذَلِكَ الثُّورُ يَخْصُ الْمُؤْمِنِينَ، يُبْرِئُ أَبْصَارَهُمْ وَيَصَائِرُهُمْ، وَأَرْوَاهُمْ وَعُقُولَهُمْ، وَأَفْعَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، بَيْنَمَا الضُّوءُ يَخْصُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، يُضِيءُ السَّبِيلَ أَمَامَ أَبْصَارِهَا، وَيُعِينُهَا عَلَى تَدْبِيرِ شُؤُونِ حَيَاتِهَا كُلِّهَا (حَالُ الْإِنْسَانِ)، وَيُفِيدُ الْأَحْيَاءَ — بِتَرْوِيدِهَا بِفَيْتَامِينَ د — فِي تَنْمِيَةِ أَجْسَامِهَا وَتَصَلُّبِ عِظَامِهَا وَتَمَثِيلِ (تَرْكِيْبِ) غِذَائِهَا (عملية التركيب الضوئي لدى النباتات).
- 5 — الثُّورُ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ لِأَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، أَمَّا الضُّوءُ فَكَانَ مِيلَادُهُ يَوْمَ خُلِقَتِ الشَّمْسُ وَالنَّارُ وَسَيَخْبُو ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ...﴾.
- 6 — نور الله سبحانه لو كشفه للخلائق في هذه الدنيا لاحتترقت، ولكن في الآخرة فإن أهل الجنة يرونه تعالى كما جاء في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...﴾. [سورة يونس؛ آ: 26]
- فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرهما بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم... سبحانه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم" ³⁴ رواه الإمام أحمد في المسند وغيره (عبد المنعم صالح العزى)
- 7 — لِلْمَرْجِعِيَّاتِ الْمَعْرِفِيَّةِ أَثَرُهَا الْبَالِغُ الْبَيِّنُ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْأَشْيَاءِ فَهِيَ مَوْرِدٌ لِلْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الدَّامِعَةِ وَقَاضٍ عَدْلٌ يَفْصِلُ فِي كُلِّ خِلَافٍ وَاخْتِلَافٍ وَمُحَاجَجَةٌ وَجِدَالٍ.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 — كثير، الإمام أ إسماعيل بن. (1401 هـ — 1981 م). قصص الأنبياء (الإصدار 1، المجلد 1). الجزائر، الجزائر: دار التحليل الفني الجزائري، ص: 39.
- 2 — العزى، عبد المنعم صالح. أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي. باتنة، الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر — عمار قري —، ص: 56، 22، 23، 25، 52، 92
- 3 — بالحاج بن سعيد شريفي. (2011م). تفسير كتاب الله العزيز للشيخ هود بن محكم الهواري الأوراسي من علماء القرن الثالث الهجري (الإصدار 1، المجلد 3). الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع / الجزائر. ص: 183، 184، 457.

- 4 — بوجادي, خليفة. (2009). محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات (الإصدار 1). العلمة، الجزائر: بيت الحكمة. ص: 17.
- 5 — خفاجي, الدكتور محمد عبد المنعم. (1405 هـ — 1985 م). ديوان الشافعي. القاهرة، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ص: 88.
- 6 — الشعراوي, محمد متولي; الأنصاري, أبو هاني. (1980). الشمائل المحمدية ورد شبهات المستشرقين (الإصدار 1). القاهرة، مصر، ص: 5، 6.
- 7 — المباركفوري, صفى الرحمان. (1431 هـ — 2010 م). الرحيق المختوم (الإصدار 21). المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 162.
- 8 — علي, عبد الرحمن عبد الحميد. (1428 هـ / 2008 م). تاريخ الأدب في العصر الجاهلي (الإصدار 1). القاهرة، مصر: دار الكتاب الحديث، ص: 130، 182، 217.
- 9 — الفاخوري, حنا. تاريخ الأدب العربي (الإصدار 9). بيروت، لبنان: المطبعة البولسية، ص: 290، 988، 235، 229.
- 10 — السعدي, العلامة الشيخ عبد الرحمان بن ناصر. (1433 هـ — 2012 م). المصحف المفسر (المجلد 1). حمص، سوريا: بيت القرآن، ص: 201.
- 11 — البستاني, فؤاد أفرام. (1981). أبو فراس الحمداني — منتخبات شعرية — (الإصدار 8). بيروت، لبنان: دار المعارف، ص: 433، 447.
- 12 — البستاني, فؤاد أفرام. (1981). منجد الطلاب. بيروت، لبنان: المكتبة الشرقية، ص: 30.
- 13 — خليفة, محمد علي. (1979). شعراء الجزائر — ديوان محمد العيد — (الإصدار 1). (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المحرر) الجزائر العاصمة، الجزائر: مطبعة أحمد زبانة 3 شارع زيروت يوسف، ص: 428، 12.
- 14 — وهب أحمد رومية. (1416 هـ / 1996 م). شعرنا القديم والنقد الجديد (الإصدار 1). الكويت، الكويت: مطابع السياسة، ص: 262، 263، 287.
- 15 — البجاوي, علي محمد. مختارات شعراء العرب لابن الشجري. الفجالة — القاهرة، مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص: 217.
- 16 — المتنبي, أبو الطيب. (1400 هـ / 1980 م). ديوان المتنبي (الإصدار 1). (دار بيروت للطباعة والنشر، المحرر) بيروت، لبنان: دار بيروت للطباعة والنشر، ص: 168.
- 17 — زكريا, مفدي. (1991). اللهب المقدس (الإصدار 2). الجزائر العاصمة، الجزائر: م و ك 3، شارع زيغود يوسف، ص: 34.

